مجلة جامعة الملك سعود، م١٧، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية (٢)، ص ص ٨٣٧ -٨٩٣ (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤هـ)

حقيقة الإيمان عند أهل السنّة والجماعة والرد على المخالفين

هيا بنت إسماعيل بن عبدالعزيز آل الشيخ

أستاذ مساعد، قسم الثقافة الإسلامية، كلية التربية، جامعة الملك سعود،

الرياض، المملكة العربية السعودية

(قدم للنشر في ٢٢/١١/١٤٢٤هـ، وقبل للنشر في٢٨/٣/١٤٢٥هـ)

ملخص البحث. إن الناس في حقيقة الإيمان قديماً وحديثاً على ثلاثة مذاهب؛ وسط وطرفي نقيض. الوسط: هم أهل السنّة والجماعة الذين أيقنوا أن الإيمان حقيقة مركبة من ثلاثة أركان وهي اعتقاد القلب وقول اللسان وعمل الجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. (ولهذا لا يكفرون بكل ذنب ولا يمنعون التكفير منعاً باتاً).

أما طرفي النقيض فيمثله الخوارج والمعتزلة من ناحية والمرجئة من ناحية أخرى، أما الخوارج والمعتزلة: فقد اتفقوا مع أهل السنة والجماعة على أن الإيمان حقيقة مركبة من اعتقاد وقول وعمل ولكنهم خالفوهم بقولهم: أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ولهذا كفر الخوارج عصاة الموحدين في الدنيا وخلدوهم في النار في الآخرة.

أما المعتزلة فقالوا: إنهم في منزلة بين المنزلتين في الدنيا ولكنهم اتفقوا مع الخوارج على تخليدهم في النار في الآخرة. أما الطرف النقيض الآخر فهم المرجئه وهم ثلاثة أصناف الجهميه ـ الكرامية: مرجئة الفقهاء. أما الجهمية: فقد زعموا أن الإيمان مجرد معرفة قلبيه فقط، ولهذا كفرهم السلف كوكيع بن الجراح وأحمد بن حنبل وأبي عبيد.

وأما الإيمان عند الكرامية: فهو الإقرار باللسان فقط دون التصديق بالقلب ومن المعلوم بالضرورة أن من قال بلسانه ما ليس في قلبه فهو كاذب منافق.

أما مرجئة الفقهاء: فمنهم من عرف الإيمان بأنه تصديق القلب وقول اللسان ومنهم من عرفه بأنه التصديق فقط ومع أنهم لم يتفقوا مع من قال بأن الإيمان هو المعرفة إلا أن في قولهم تشجيع للفساق على اجتراح السيئات.

مقدمـــــة

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ونعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن. الحمد الله القائل ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[1]. والقائل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ ﴾[2] ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ

---

١ سورة البقرة /٢٨٥.

٢ سورة النساء/ ٤٨.

فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[٣] **والقائل: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا ﴾**[٤].

وبعد فإن الناس في معنى الإيمان قديماً وحديثاً ثلاثة مذاهب وسط وطرفاً نقيض، الوسط هم أهل السنة والجماعة الذين قالوا: الإيمان حقيقة مركبة من ثلاثة أركان وهي: اعتقاد القلب وقول اللسان وعمل الجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية؛ ولهذا أحسنوا الظن بأهل القبلة الموحدين فلم يكفروا بكل ذنب ولا يمنعون التكفير متعاً تاماً، بل نجدهم يخطئون من ارتكب ذنباً ولا يكفرون إلا من تعاطى أسباب الكفر.

ويمثل طرفي النقيض الخوارج والمعتزلة من ناحية؛ والمرجئة من ناحية أخرى، أما الخوارج والمعتزلة: فقد كان سبب ضلالهم في حقيقة الإيمان هو أخذهم بنصوص الوعيد وتركهم نصوص الوعد، ولهذا جعلوا الإيمان كل لا يتجزأ إذا زال بعضه زال جميعه فنتج عن هذا المذهب تكفير مرتكب الكبيرة عند الخوارج. أما المعتزلة: فقالوا: إنه في منزله بين المنزلتين في الدنيا ولكنهم اتفقوا مع الخوارج في تخليده في النار.

أما المرجئة: فقد كان سبب ضلالهم في حقيقة الإيمان هو أخذهم بنصوص الوعد وتركهم نصوص الوعيد، ولهذا جعلوا الإيمان شيئاً واحداً لا يتفاضل وأهله فيه سواء وهو التصديق بالقلب مجرداً عن أعمال القلب والجوارح وقد نتج عن مذهبهم الضال حصر الكفر بكفر الجحود والتكذيب المسمى: كفر الاستحلال، ولذا فهذا البحث يتكلم عن حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة والرد على المخالفين.

---

٣ سورة الحج: ٣١.

٤ سورة النساء: ٩٤.

تمهيد

المبحث الأول: تعريف الإسلام والإيمان والإحسان لغة وشرعاً

الإسلام لغة

الإسلام والسلم والاستسلام يعني الانقياد[٥] وإظهار الخضوع والقبول لما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم، وبه يحقن الدم ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾[٦] وقوله صلى الله عليه وسلم لما قال له سعد ابن وقاص رضي الله عنه مالك عن فلان فوالله أني لأراه مؤمناً، فقال صلى الله عليه وسلم أو مسلم [٧] قال ابن حجر العسقلاني في شرحه لهذا الحديث (إن المسلم يطلق على من أظهر الإسلام وإن لم يعلم باطنه، فلا يكون مؤمناً لأنه ممن لم تصدق عليه الحقيقة الشرعية وأما اللغوية فحاصله... بل المعنى أن إطلاق المسلم على من لم يختبر حاله الخبرة الباطنية أولى من إطلاق المؤمن لأن الإسلام معلوم بحكم الظاهر)[٨].

الإسلام شرعاً

هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك ومعاداة أهله[٩] لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ

---

٥ انظر *لسان العرب لابن منظور*، ١٢، ٢٩٥، ٢٩٤.

٦ سورة النساء: ٩٤.

٧ رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة؛ ومسلم في كتاب الإيمان، باب تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه.

٨ *فتح الباري بشرح صحيح البخاري*، جـ ١، تصحيح الشيخ عبدالعزيز بن باز ومحب الدين الخطيب، السلفية ١٣٨٠هـ، ص ٦٦، ٦٧.

٩ أنظر *أعلام السنة* المنشورة للشيخ/ حافظ الحكمي، تحقيق: حازم القاضي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف، ط ٢، ص ١٤٢.

ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[١٠] وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[١١].

الإيمان لغة

مصدر أمن من يؤمن إيماناً فهو مؤمن، واتفق أهل اللغة من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق وهو ضد التكذيب يقال: أمن به قوم وكذب به قوم،[١٢] ومنه قوله تعالى إخباراً عن أخوة يوسف لما أتوا أباهم مخبرينه أن يوسف قد أكله الذئب ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[١٣] أي بمصدق لنا.

الإيمان شرعاً

الإيمان اسم يقع على التصديق الجازم بالقلب والإقرار باللسان، والعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[١٤]، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴿٤﴾ ﴾[١٥]

ولقوله صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس: (آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما

---

١٠ سورة آل عمران: ٨٥.

١١ سورة الأنعام: ١٦٢-١٦٣.

١٢ انظر: *لسان العرب* لابن منظور، ص١٣، ٢١، ٣٢، بيروت: دار صاد، د.ت. وانظر: *المفردات للراغب الأصفهاني*، ص ٢٦ : تحقيق سيد كيلاني، بيروت: دار المعرفة.

١٣ سورة يوسف: ١٧.

١٤ انظر على سبيل المثال لا الحصر: *لمعة الاعتقاد* للإمام موفق الدين المقدسي، ص ٣٣، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، ط٢، ١٣٩١هـ.

١٥ سورة الأنفال: ٢-٤ .

الإيمان بالله؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وأن تؤدي خمس ما غنتم)[16] وقد علق شارح الطحاوية على هذا الحديث بقوله: (ومعلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال تكون إيماناً بدون إيمان القلب، لما قد أخبر في مواضع أنه لابد من إيمان القلب، فعلم أن هذه مع إيمان القلب، وأي دليل على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان فوق هذا الدليل؟ فإنه فسر الإيمان بالأعمال ولم يذكر التصديق للعلم بأن هذه الأعمال لا تفيد مع الجحود)[17].

الإحسان لغة

حسن الطاعة والإخلاص.[18]

الإحسان شرعاً

مراقبة الله تعالى في السر والعلن مراقبة من يحبه ويخشاه ويرجو ثوابه ويخاف عقابه، بالمحافظة على الفرائض والنوافل واجتناب المحرومات والمكروهات[19]، امتثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[20].

قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله: (إن الإحسان يتناول الإخلاص وغيره، والإحسان يجمع كمال الإخلاص لله، ويجمع الإتيان بالفعل الحسن الذي يحبه الله)[21] قال

---

١٦ سيأتي تخريجه ص ٩.

١٧ شرح *العقيدة الطحاوية* لابن أبي العز الحنفي، جـ٢، تحقيق: د. عبدالرحمن عيدره، المعارف، الرياض، ط٢، ١٤٠٧هـ ص٧٠.

١٨ انظر: *لسان العرب*، ج١٣، ص١١٧.

١٩ انظر: أصول الدين في ضوء الكتاب والسنة إعداد نخبة من العلماء، ص ٢٦١.

٢٠ سيأتي تخريجه، ٤، *مجموع الفتاوي* ٦٢٢/٧.

٢١ *مجموع الفتاوى* ٦٢٢/٧.

تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[٢٢].

هذه معاني الإسلام والإيمان والإحسان لغة وشرعاً ومنها ننتقل إلى العلاقة بينها وهذا ما سنوضحه في المبحث التالي.

المبحث الثاني : العلاقة بين الإسلام والإيمان والإحسان

ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ذكر الإسلام والإيمان مجتمعه أحياناً ومنفرد كل منهما عن الآخر أحياناً أخرى ومن أمثله ذلك:

أولاً: بعضاً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي ورد ذكر الإسلام والإيمان مجتمعاً فيها

١ - قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾[٢٣].

٢ - قوله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[٢٤].

٣ - قوله تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ﴾[٢٥].

---

٢٢ سورة البقرة : ١١٢.

٢٣ سورة الأحزاب : ٣٥.

٢٤ سورة الذاريات : ٣٥-٣٦.

٢٥ سورة الحجرات : ١٤.

٤ - قوله صلى الله عليه وسلم في دعائه (اللهم لك أسلمت وبك آمنت)[٢٦].

ثانياً: بعضاً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي ورد فيها ذكر كل من الإسلام والإيمان منفرداً عن الآخر

١ - بعضاً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي ورد فيها ذكر الإسلام منفرداً عن الإيمان.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[٢٧].

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[٢٨].

قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾[٢٩].

قوله صلى الله عليه وسلم: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)[٣٠].

قوله صلى الله عليه وسلم: (بني الإسلام على خمس.....)[٣١].

---

٢٦ رواه البخاري في كتاب التهجد، باب التهجد بالليل، مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل.

٢٧ سورة آل عمران : ١٩.

٢٨ سورة آل عمران : ٨٥.

٢٩ سورة آل عمران : ٨٣.

٣٠ رواه البخاري ، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، مسلم كتاب الإيمان، باب تفاضل الإسلام.

٣١ رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب الإيمان وقوله النبي صلى الله عليه وسلم بني الإسلام على خمس، مسلم ، كتاب الإيمان، باب أركان الإسلام ودعائمة.

٢ - بعضاً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي ورد فيها ذكر الإيمان وحده.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴾[٣٢].

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾[٣٣].

قوله تعالى: ﴿ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ﴾[٣٤].

ومن السنة حديث وفد عبد القيس: (آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان)٣٥. هذه بعضاً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي ورد فيها ذكر الإيمان والإسلام مجتمعاً أو منفرداً كل منهما عن الآخر وبناء على هذا حصل خلاف بين العلماء حول مسألة علاقة كل منهما بالآخر، فمنهم من قال: إن الإيمان أعم من الإسلام ومنهم من قال: إن الإيمان والإسلام مترادفان.

أولاً: جمهور العلماء قالوا: الإيمان أعم من الإسلام، مستدلين بالآيات والأحاديث التي فرقت بين الإسلام والإيمان إذا اجتمعا

يقول الإمام أبو القاسم الأصبهاني: (الإيمان والإسلام اسمان لمعينين فالإسلام عبارة عن الشهادتين مع التصديق بالقلب، والإيمان عبارة عن جميع الطاعات خلافاً لمن

---

٣٢ سورة المائدة: ٦١.

٣٣ سورة البقرة: ١٨٣.

٣٤ سورة الحديد: ٢١.

٣٥ رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب أداء الخمس في الإيمان، مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله.

قال: الإسلام والإيمان سواء، إذا حصلت معه الطمأنينة، والدليل على الفرق بينهما قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾[٣٦] عطف الإيمان على الإسلام والشيء لا يعطف على نفسه؛ فعلم أن الإيمان معنى زائد على الإسلام.[٣٧]

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وحقيقة الفرق بينهما أن الإسلام دين، والدين مصدر دان يدين ديناً إذا خضع وذل، ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله، هو الخضوع لله وحده بعبادته وحده دون سواه. أما الإيمان فأصله تصديق وإقرار ومعرفة فهو من باب قول القلب المتضمن عمل القلب والأصل فيه التصديق، والعمل تابع له، فلهذا فسر النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان بإيمان القلب وبخضوعه وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وفسر الإسلام باستسلام مخصوص هو المباني الخمسة، وهكذا في سائر كلامه صلى الله عليه وسلم يفسر الإيمان بذلك النوع، ويفسر الإسلام بهذا وذلك النوع أعلى)[٣٨].

ويقول ابن كثير عند تفسيره لآية الحجرات: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾[٣٩] (وقد استفيد من هذه الآية الكريمة أن الإيمان أخص من الإسلام كما هو مذهب أهل السنة ويدل عليه

---

٣٦ سورة الأحزاب : ٣٥.

٣٧ *الحجة في بيان الحجة* ٤٠٦/١ -٤٠٧ تحقيق : محمد ربيع المدخلي، دار الراية، الرياض، ط١، ١٤١١هـ.

٣٨ الإيمان: ص ٢٢٥-٢٢٦.

٣٩ سورة الحجرات : ١٤.

حديث جبريل عليه الصلاة والسلام حين سأل عن الإسلام ثم عن الإيمان ثم عن الإحسان فترقى من الأعم إلى الأخص)[٤٠].

ثانياً: فريق آخر من علماء المسلمين قالوا: إن الإيمان والإسلام مترادفان أي شيء واحد منهم

أصحاب الإمام الشافعي والإمام أبي حنيفة والإمام مالك وبه قال الأشاعرة والماتريدية.[٤١]

يقول الإمام ابن عبدالبر: (إن الذي عليه جماعة أقل الفقه والنظر: أن الإيمان والإسلام سواء، بدليل ما ذكرنا من كتاب الله عز وجل قوله: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[٤٢] وعلى القول بأن الإيمان هو الإسلام جمهور أصحابنا وغيرهم من الشافعين والمالكين، وهو قول داود[٤٣] وأصحابه وأكثر أهل السنة والنظر المتبعين للسلف والأثر)[٤٤].

---

٤٠ *تفسير القرآن العظيم* ٤/٢٢٠.

٤١ أنظر: *الفقه الأكبر* لأبي حنيفة، ص ٨٠ شرح ملا علي القاري، مطبعة التقدم، مصر، ١٣٢٣هـ، *الفصل من الملل والأهواء والنحل*، لابن حزم ١٠٩/٣، مكتبة دار السلام العالمية، القاهرة، بدون، *معالم أصول الدين* للرازي، ص ١٢٩، الأزهرية، القاهرة، *أصول الدين*، النردوي، ص ١٥٤، تحقيق د/ هاكنز بيترلنس، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٣هـ.

٤٢ سورة الذاريات: ٣٥-٣٦.

٤٣ داود علي خلف أبو سليمان البغدادي المعروف بالأصبهاني، رئيس أهل الظاهر قال عنه الذهبي بعد أن ذكر بعض المسائل التي خالف فيها السلف: وفي الجملة فداود بن علي بصير بالفقه، عالم بالقرآن، حافظ للأثر، رأس في معرفة الخلاف من أوعية العلم، له ذكاء خارق، وله دين متين. مات ٢٧٠هـ أنظر: *سير أعلام النبلاء* ٩٧/١٣ -١٠٨.

٤٤ *التمهيد لما في موطأ مالك من المعاني والأسانيد*، للحافظ عمر بن يوسف بن عبدالبر، تحقيق: مجموعة من المحققين، نشر وزارة الأوقاف المغربية.

إن أصحاب الرأي الثاني: وهم القائلون باتحاد الإيمان والإسلام يلزمهم أن يقعوا في أحد أمرين (فإما أن يقولوا اللفظ مترادف فيكون هذا تكريراً محضاً، ثم مدلول هذا اللفظ عين مدلول الآخر، وإما يقولوا: بل أحد اللفظين يدل على صفة غير الصفة الأخرى كما في أسماء الله وأسماء كتابه، لكن لا يقتضي الأمر بهما جميعاً، ولكن يقتضي أن يذكر تارة بهذا الوصف وتارة بهذا الوصف)[٤٥]. ولهذا وغيره. فمن المعلوم بالضرورة أن الرأي الأول وهو القول: إن الإيمان أعم من الإسلام هو القول الصحيح وذلك للأسباب التالية:

١ – يجب علينا (رد ما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله والرد إلى الله ورسوله في مسألة الإسلام والإيمان يوجب أن كلاً من الاسمين وإن كان مسماه واجباً لا يستحق أحد الجنة إلا بأن يكون مؤمناً مسلما، فالحق في ذلك ما بينه النبي في حديث جبريل، فجعل الدين وأهله ثلاث طبقات: أولها الإسلام، وأوسطها الإيمان وأعلاها الإحسان، ومن وصل إلى العليا فقد وصل إلى التي تليها، فالمحسن مؤمن، والمؤمن مسلم، وأما المسلم فلا يجب أن يكون مؤمناً وهكذا جاء القرآن فجعل الأمة على هذه الأصناف الثلاثة)[٤٦] قال تعالى:

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[٤٧] (فالمسلم الذي لم يقم بواجب الإيمان هو الظالم لنفسه، والمقتصد هو المؤمن المطلق الذي أدى الواجب وترك المحرم والسابق بالخيرات هو المحسن الذي عبد الله كأنه يراه)[٤٨].

---

٤٥ *مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه* ٤١١/٧.

٤٦ *مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه* ٣٥٧/٧ – ٣٥٨.

٤٧ سورة فاطر: ٣٢.

٤٨ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ٣٥٨/٧.

قال شارح الطحاوية: (فتبين أن ديننا يجمع الثلاثة، لكن هو درجات ثلاث: مسلم ثم مؤمن ثم محسن... فأما الإحسان فهو أعم من جهة نفسه وأخص من جهة أهله من الإيمان والإيمان أعم من جهة نفسه وأخص من جهة أهله من الإسلام فالإحسان يدخل فيه الإيمان والإيمان يدخل فيه الإسلام والمحسنون أخص من المؤمنين والمؤمنون أخص من المسلمين)[٤٩].

ولهذا (فإن أكمل الناس توحيداً الأنبياء صلوات الله عليهم، والمرسلون منهم أكمل في ذلك، وأولو العزم من الرسل أكملهم توحيداً، وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليه الصلاة والسلام أجمعين، وأكملهم الخليلان محمد وإبراهيم صلوات الله عليهما وسلامه، فإنهما قاما من التوحيد بما لم يقم به غيرهما علماً، ومعرفة، وحالاً ودعوة للخلق وجهاداً)[٥٠].

العلاقة بين الإسلام والإيمان والإحسان عند الاجتماع والافتراق:

هذه العلاقة يقررها ابن رجب في هذه المسألة حيث قال: (إن من الأسماء ما يكون شاملاً لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه، فإذا قرن ذلك الاسم بغيره، صار دالاً على بعض تلك المسميات، والاسم المقرون به دال عليها باقيها... فهكذا اسم الإسلام والإيمان إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر، ودل بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده، فإذا قورن بينهما دل أحدهما على ما يدل عليه بانفراده، ودل الآخر على الباقي)[٥١].

---

٤٩ شرح *العقيدة الطحاوية* ٢/ ٧٠، ٧١.

٥٠ شرح *العقيدة الطحاوية* ١/ ١٠١.

٥١ جامع *العلوم والحكم* ص ٣٩.

فلفظ الإسلام لغة: الانقياد والإذعان.

أما في الشرع فلإطلاقه حالتان: [٥٢]

الحالة الأولى: أن يطلق على الأفراد، غير مقترن بذكر الإيمان، فهو حينئذ يشمل الدين كله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[٥٣].

وقال: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[٥٤].

وقال عليه الصلاة والسلام: (بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء)٥٥.

الحالة الثانية: أن يطلق مقترناً بالاعتقاد، فهو حينئذ يراد به الأعمال والأقوال الظاهرة، كقوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا

---

٥٢ قال الراغب الأصفهاني: (الإسلام في الشرع على ضربين: أحدهما: دون الإيمان، وهو الاعتراف باللسان، وبه يحقن الدم، حصل معه الاعتقاد أو لم يحصل، وإياه قصد تعالى بقوله: (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا). والثاني: فوق الإيمان، وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب، ووفاء بالفعل، واستسلام لله في جميع ما قضي وقدر) المفردات ص ٤٢٣.

٥٣ آل عمران: ١٩.

٥٤ المائدة: ٣.

٥٥ رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب أن الإسلام بدأ غريباً... الخ، والترمذي – كتاب الإيمان – باب (١٣)، وأحمد في مسنده (٤/٧٣).

﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾[٥٦]، وقوله صلى الله عليه وسلم لما قال له سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: مالك عن فلان فوالله إني لأراه مؤمنا، فقال صلى الله عليه وسلم: (أو مسلم)[٥٧].

أما المرتبة الثانية من مراتب الدين فهي : الإيمان. والإيمان لغة: التصديق، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾[٥٨]. أما في الشرع فلإطلاقه حالتان:

الحالة الأولى: أن يطلق على الأفراد غير مقرن بذكر الإسلام، ويراد به الدين كله، كقوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ ...﴾ [٥٩]، وكقوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ... ﴾ [٦٠]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم لوفد عبدالقيس: (آمركم بالإيمان بالله وحده، قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده...)[٦١] الحديث.

---

٥٦ الحجرات: ١٤.

٥٧ رواه البخاري – كتاب الإيمان – باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة، ومسلم – كتاب الإيمان - باب تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه.

٥٨ يوسف: ١٧.

٥٩ سورة المؤمنون: الآيات الأولى.

٦٠ سورة البقرة : ١٧٧.

٦١ رواه البخاري – كتاب الإيمان – باب أداء الخمس في الإيمان، ومسلم – كتاب الإيمان - باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله... الخ.

الحالة الثانية: أن يطلق مقروناً بالإسلام، وحينئذ يفسر بالاعتقادات الباطنة، كقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ... ﴾[٦٢]. ولهذا قال الحافظ ابن حجر رحمه الله والذي يظهر من مجموع الأدلة أن لكل منهما حقيقة شرعية كما أن لكل منهما حقيقة لغوية لكن كل منهما مستلزم للآخر بمعنى التكميل)[٦٣].

الفصل الأول: حقيقة الإيمان

المبحث الأول: حقيقة الإيمان عند أهل السنّة والجماعة

إن حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة هي التصديق بالقلب، والقول باللسان، والعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. لقوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ ﴾[٦٤] ولقوله صلى الله عليه وسلم لوفد عبدالقبس: هل

---

٦٢ سورة النساء :٥٧ .

٦٣ فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ١/١٤١، تصحيح: محب الدين الخطيب، ترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي، مصر: دار الريان للتراث، ١٤٠٧.

٦٤ سورة المؤمنون: ١-١١.

تدرون ما الإيمان بالله وحده قالوا: الله ورسوله أعلم: قال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا من الغنائم الخمس)[٦٥] وهذا التعريف هو الذي كان عليه الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين لموافقته الكتاب والسنة ولهذا دارت تعريفات السلف للإيمان على ثلاثة أركان وهي:

١. الاعتقاد بالقلب.

٢. القول باللسان.

٣. العمل بالجوارح.

وهذه الأركان الثلاثة هي موضع إجماع بين علماء سلف هذه الأمة، قال الشافعي رحمه الله: (وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركنا يقولون: (الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاث إلا بالآخر)[٦٦].

وقال البغوي رحمه الله: (اتفقت الصحابة والتابعون، فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان) ثم قال أيضاً (وقالوا الإيمان قول وعمل وعقيدة)[٦٧].

وقال محمد بن الحسين الآجري رحمه الله: (أعلموا رحمنا الله وإياكم أن الذي عليه علماء المسلمين: أن الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح)[٦٨].

---

٦٥ سبق تخريجه، ص ٩.

٦٦ انظر: *شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة* – اللالكائي ٥/٨٨٦-٨٨٧ تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة، ط١، بدون.

٦٧ شرح *السنة* – للإمام الحسين بن مسعود البغوي ١/٣٨-٣٩، تحقيق – شعيب الأرناءوط ومحمد زهير الشاويش – المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٦٨ *الشريعة* – للأجري، ص ١١٩ – تحقيق – محمد حامد فقي – أنصار السنة النبوية، لاهور، بدون.

هذه بعضاً من تعريفات علماء السلف للإيمان، وقد كان تعبيرهم بألفاظ مختلفة، ولكن كلها تدل على أن الإيمان مركب من اعتقاد وقول وعمل ولهذا فاختلاف ألفاظهم اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد وقد بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله فقال: (ومن هذا الباب أقوال السلف وأئمة السنة في تفسير الإيمان، فتارة يقولون: هو قول وعمل، وتارة يقولون: قول وعمل ونية واتباع السنة، وتارة يقولون: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، وكل هذا صحيح، فإذا قالوا: قول وعمل فإنه يدخل في القول قول القلب واللسان جميعاً، وهذا هو المفهوم من لفظ القول والكلام ونحو ذلك إذا أطلق)[٦٩].

كما اتفق سلف هذه الأمة على أن الإيمان حقيقة مركبة من اعتقاد وقول وعمل اتفقوا كذلك على أنه يزيد وينقص وفي هذا قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله (والمأثور عن الصحابة وأئمة التابعين وجمهور السلف وهو مذهب أهل الحديث وهو المنسوب إلى أهل السنة أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية)[٧٠] وقد دل على ذلك نصوص الكتاب والسنة، فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾[٧١]. وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾[٧٢].

---

٦٩ الإيمان د.ت. ضمن *مجموع الفتاوى* ١٧٠/٧ جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد، بدون.

٧٠ الإيمان ضمن *مجموع الفتاوى* ٥٠٥/٧.

٧١ سورة الأنفال: ٢.

٧٢ سورة الفتح: ٤.

وقال صلى الله عليه وسلم: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه؛ فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)[٧٣].

وقال النووي: (إن الطاعة تسمى إيماناً وديناً، وإذا ثبت هذا علمنا أن من كثرت عبادته زاد إيمانه ودينه، ومن نقصت عبادته نقص دينه)[٧٤].

هذه عقيدة أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين في حقيقة الإيمان صافية نقية على المحجة البيضاء ليلها كنهارها كما جاء به خير البشرية محمد صلى الله عليه وسلم لا يحيد عنها إلا هالك.

المبحث الثاني: حقيقة الإيمان عند (الخوارج والمعتزلة) والرد عليهم

حقيقته عند الوعيدية

(الخوارج والمعتزلة) وهؤلاء اتفقوا مع أهل السنة والجماعة على أن الإيمان حقيقة مركبة من اعتقاد وقول وعمل، ولكنهم خالفوهم بقولهم: إن الإيمان لا يتجزأ ولا يتبعض أي لا يزيد ولا ينقص، فمتى ذهب بعضه بارتكاب شيء من المعاصي ذهب كله ومن ثم قالت الخوارج بكفر من ارتكب معصية، وقالت المعتزلة: لا نسميه مؤمناً ولا كافراً، بل هو في منزلة بينهما، ولكنهم اتفقوا على تخليده في النار[٧٥]، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله: (فكان من أول البدع والتطرف الذي وقع في هذه الأمة

---

٧٣ رواه مسلم في كتاب الإيمان – باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان – الترمذي كتاب الفتن - باب (١١)، النسائي – كتاب الإيمان – باب تفاضل أهل الإيمان – الإمام أحمد في مسنده ٣/٢٠.

٧٤ *شرح صحيح مسلم* ٢/٦٨ – ط ١ دار الفكر، لبنان، د.ت.

٧٥ أنظر: *الملل والنحل* – الشهرستاني ١/١١٤ – تحقيق/ محمد سيد كيلاني – المعرفة، بيروت، د.ت. كذلك الفصل لابن حزم ٣/١٨٨، ط٢ دار المعرفة، ١٣٩٥هـ.

"بدعة الخوارج" المكفرة بالذنب، فإنهم تكلموا في الفاسق الملي، فزعمت الخوارج والمعتزلة أن الذنوب الكبيرة ومنهم من قال: والصغيرة لا تجامع الإيمان أبداً، بل تنافيه وتفسده كما يفسد الأكل والشرب الصيام، قالوا: لأن الإيمان هو فعل المأمور وترك المحظور فمتى بطل بعضه بطل كله كسائر المركبات ثم قالت الخوارج: فيكون العاصي كافراً لأنه ليس إلا مؤمن وكافر، ... وقالت المعتزلة بالمنزلة بين المنزلتين قد يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر)[٧٦] وقال في موضع آخر (المعتزلة والخوارج يقولون بتحليد العصاه)[٧٧].

بعضاً من حجج الخوارج والمعتزلة على تكفير عصاة الموحدين:

استدلت هاتين الفرقتين على تكفير عصاة الموحدين وخلودهم في النار إما بنصوص نزلت في الكفار أو الأخذ بآيات الوعيد وترك آيات الوعد ومن أمثلة ذلك:

١ - قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾[٧٨]. قالوا: إنه لا أمل للعاصي الذي يموت على معصيته في رحمة الله.٧٩

٢ - قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ ﴾[٨٠]. قالوا: أخبر الله تعالى أن العصاة يعذبون بالنار ويخلدون فيها، والعاصي

---

٧٦ *مجموع الفتاوى*، ١٢/٤٧٠ -٤٧١.

٧٧ المرجع السابق ١٥٩/٧.

٧٨ سورة البقرة: ٨١.

٧٩ انظر: *الإباضية في موكب التاريخ* – علي يحيى معمر ١٣٢/١ مكتبة وهبة، القاهرة، وانظر: شرح *الأصول الخمسة* – القاضي عبدالجبار، ص ٦٧٨.

٨٠ سورة الجن: ٢٣.

اسم يتناول الفاسق والكافر جميعاً، فيجب حمله عليهما؛ لأنه تعالى لو أراد أحدهما دون الآخر لبينه.[81]

قوله تعالى: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[82]، قالوا إن صاحب الكبيرة خفت موازينه، لأنه مكذب لآيات الله ومن كان مكذباً فهو كافر.[83]

هذه بعضاً من الآيات القرآنية التي احتجت بها هاتين الفرقتين على اعتقادهم أن عصاة الموحدين خالدين في نار جهنم أبد الأبدين. ولهذا كان من المعلوم بالضرورة أن يتصادم هذا الاعتقاد مع النصوص الصريحة. المثبتة للشفاعة كقوله تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[84] وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾[85]، وكذلك الأحاديث التي تثبت الشفاعة لأهل الكبائر من المؤمنين كقوله صلى الله عليه وسلم: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)[86]. فما موقفهم من هذه النصوص؟ يقول القاضي عبدالجبار في تأويل ما سبق: (قد دلت الدلالة على أن العقوبة تستحق على طريق الدوام، فكيف يخرج الفاسق من النار بشفاعة النبي

---

٨١ انظر: شرح *الأصول الخمسة* – القاضي عبدالجبار، ص ٦٥٧، كذلك انظر: الحق الدافع، أحمد الخليلي، ص ٢٢٢.

٨٢ سورة المؤمنون: ١٠٢-١٠٣.

٨٣ انظر: شرح *الأصول الخمسة*، القاضي عبدالجبار، ص ٧٢٥.

٨٤ سورة البقرة: ٢٥٥.

٨٥ سورة طه: ١٠٩.

٨٦ رواه الترمذي رقم ٢٤٣٥ في كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في الشفاعة أبو داود فس السنة – باب الشفاعة، ابن ماجه: في الزهد – باب ذك الشفاعة، وهو حديث صحيح.

صلى الله عليه وسلم والحال ما تقدم، فالنصوص السابقة معارضة بالآيات النافية للشفاعة – حسب اعتقادهم – كقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾[٨٧].

وقوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾[٨٨] فالله تعالى نفى أن يكون للظالمين شفيع البتة...[٨٩]

إضافة إلى ذلك أدعى المعتزلة أن الأحاديث المثبتة للشفاعة غير صحيحة، ولو صحت فإنها أخبار آحاد، فهي ظنية لا توجب القطع، وهذه المسألة طريقها العلم؛ لذا لا يصح بها الاحتجاج عندهم، ثم لجأوا إلى أخبار رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم فادعوا أنها معارضة لهذه الأخبار التي تثبت شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر من أمته، كقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يدخل الجنة مدمن خمر ولا نمام ولا عاق)[٩٠].

وقوله صلى الله عليه وسلم: (من قتل نفسه بحديده فحديدته في يده يجأ بها بطنه في نار جهنم خالداً فيها)[٩١] إلى غير ذلك.[٩٢]

---

٨٧ سورة البقرة : ١٢٣.

٨٨ سورة غافر: ١٨.

٨٩ شرح *الأصول الخمسة*: القاضي عبدالجبار، ص ٦٨٩ – وأنظر: الحق الدامع – أحمد الخليلي، ص ٢٢٤.

٩٠ أخرجه النسائي بلفظ "ثلاثة لا يدخلون الجنة، العاق لوالديه ومدمن الخمر والمنان بما أعطى" ٥/٨٠ في الزكاة باب المنان بما أعطى. أحمد في *المسند* الحاكم في *المستدرك* وهو حديث حسن.

٩١ أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب الجنائز – باب ما جاء في قاتل النفس – مسلم في كتاب الإيمان – باب غلط تحريم قتل الإنسان نفسه – الدارمي في كتاب الديات – باب التشديد على من قتل نفسه.

٩٢ انظر: شرح *الأصول الخمسة*، ص ٦٧٣، ٦٩١. وانظر: *الحق الدامع*، ص ٢٢٥.

ثم قالوا: وليس ذلك بأولى مما أوردناه، فيجب إطراحها جميعاً أو حمل أحدهما على الآخر، فنحمله على ما يقتضيه كتاب الله وسنة رسوله، ونقول المراد به شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي إذا تابوا؛ لأن ما استحق التائب من الثواب قد أنحبط بارتكابه الكبيرة.[٩٣]

وهكذا أبطلوا شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر من أمته، اعتقاداً منهم أنه إذا وعد عبيده فلا يجوز عليه أن يخلف وعده ووعيده، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، فالإيمان عندهم كما تقدم كل لا يتجزأ ولا يتبعض أي لا يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وإنما إذا ذهب بعضه ذهب كله؛ ولهذا وغيره خالفوا أهل السنة والجماعة الذين اتفقوا على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفراً يخرج عن الملة بالكلية كما قالت الخوارج كما أنهم اتفقوا على أنه لا يخرج من الإيمان والإسلام ولا يدخل في الكفر، ولا يستحق الخلود في النار مع الكافرين كما قالت المعتزلة[٩٤]، لعلمهم أن المعاصي كلها من شعب الكفر، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان[٩٥]، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله: (ليس كل من قام به شعبة من شعب الكفر يصير كافراً الكفر المطلق حتى تقوم به حقيقة الكفر، كما أنه ليس من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير بها مؤمناً حتى يقوم به أصل الإيمان وحقيقته)[٩٦].

---

٩٣ انظر: *شرح الأصول الخمسة*، القاضي عبدالجبار ص ٦٩١. وانظر: *الحق الدامع*، ص ٢٢٥.

٩٤ انظر: *شرح العقيدة الطحاوية* ٤٢٢/٢.

٩٥ انظر: *الصلاة وحكم تاركها* - ابن قيم الجوزية، ص ٥٣، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ.

٩٦ *اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم*، ٢٠٨/١ – تحقيق: د. ناصر العقل، ١٤٠٤هـ.

كما أنه رحمه الله بين أصل الإيمان في موضع آخر فقال: (أصل الإيمان هو الإقرار بما جاءت به الرسل عن الله تصديقاً وانقياداً له؛ فهذا أصل الإيمان الذي لم يأت به فليس بمؤمن... فعلم أن الإيمان يقبل التبعيض والتجزئة، وأن قليله يخرج الله به من النار من دخلها...)[٩٧] ولهذا وغيره فإن رد أهل السنة والجماعة على الخوارج والمعتزلة كالتالي:

أولاً: رد أهل السنة والجماعة على الخوارج الذين كفروا عصاة الموحدين

إن نصوص الكتاب والسنة تدل دلالة واضحة على عدم زوال الإيمان بالكلية عن مرتكب الكبيرة، والحكم عليه بالكفر فمن الآيات المصرحة بإيمان العصاة مرتكبي الكبائر قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍ ...﴾[٩٨]، فخاطب الجميع باسم الإيمان مع أن فيهم من قد وجب عليه القصاص، لارتكابه كبيرة القتل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ وأثبت الأخوة بين القاتل وبين ولي دم المقتول، فقال: ﴿ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ ﴾ ولا شك أن المراد بالأخوة أخوة إيمان المذكورة في قوله تعالى: ﴿ **إنما المؤمنين إخوة**﴾ فدل ذلك على بقاء الإيمان مع كبيرة القتل.

كما أن نصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزاني، والسارق والقاذف لا يقتل، بل يقام عليه الحد، فدل ذلك على أن مرتكب الكبيرة ليس بمرتد إذ لو كان

---

٩٧ *مجموع الفتاوى*، ١٢/٤٧٤ — ٤٧٥.

٩٨ *سورة البقرة*: ١٧٨.

كذلك لوجب قتله[٩٩]. وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من كانت عنده لأخيه اليوم مظلمة من عرض أو شيء فليستحله منه اليوم قبل أن لا يكون درهم ولا دينار، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فطرحت عليه ثم ألقي في النار)[١٠٠] فثبت أن الظالم له حسنات يستوفي المظلوم منها حقه[١٠١].

إذن: فأهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفراً ينقل عن الملة بالكلية كما قالت الخوارج، إذ لو كان الأمر كذلك، لكان مرتداً يقتل على كل حال، ولما قبل عفو ولي القصاص، ولا أقيمت الحدود في الزنا والسرقة وشرب الخمر؛ فهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضرورة من دين الإسلام،[١٠٢] وبهذا يعلم فساد مذهب الخوارج في مرتكب الكبيرة الذي كان نتيجة تقسيمهم الناس إلى قسمين: مؤمن وكافر مخالفين بذلك قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ۝﴾[١٠٣] فقد بين تعالى في هذه الآية الكريمة، أن الذين أورثوا الكتاب واصطفاهم من عباده ثلاثة أصناف وهم:

---

٩٩ انظر: *الفصل*، لابن حزم ٣/٢٨٠ – *شرح الطحاوية في العقيدة السلفية* ٢/٣٨.

١٠٠ رواه البخاري في كتاب المظالم ٥/٧٣ باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها وفي الرفاق – باب القصاص يوم القيامة.

١٠١ انظر: *شرح الطحاوية* ٢/٣٨.

١٠٢ انظر: *شرح الطحاوية* ٢/٣٧.

١٠٣ سورة فاطر: ٣٢.

١ - ظالم لنفسه: وهو من ارتكب بعض المعاصي سواء منها الصغائر أو الكبائر أو المفرط في بعض الواجبات.

٢ - المقتصد: وهو المؤدي للواجبات التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات.

٣ - سابق بالخيرات بإذن الله: وهو الفاعل للواجبات والمستحبات التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات.[١٠٤]

هكذا، نجد أن أسلاف الخوارج كانوا أعراباً، قرأوا القرآن دون التفقه في السنة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن فيهم أحد من الفقهاء لا من أصحاب ابن مسعود، ولا أصحاب علي ولا أصحاب عائشة... ولهذا نجدهم يكفر بعضهم بعضاً عند أقل نزلة تنزل بهم من دقائق الفتيا وصغارهم، فظهر ضعف القوم، وقوة جهلهم.[١٠٥]

ولهذا: لما أدرك علي بن أبي طالب رضي الله عنه خطأ منهج الخوارج في فهم القرآن الكريم، وعدم اهتمامهم بالسنة التي تبين نصوصه. عدل عن مناقشتهم والاحتجاج عليهم بنصوص الكتاب والسنة إلى عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن عمله صلى الله عليه وسلم هو النموذج الحي لكتاب الله – فبين لهم أن الخطأ في العمل لا يقتضي الكفر، فقد رجم صلى الله عليه وسلم الزاني المحصن ثم صلى عليه وورثه أهله، وقتل القاتل، وورث ميراثه أهله، وقطع يد السارق، وجلد الزاني غير المحصن، ثم قسم لهما من الفيء، ونكحا المسلمات، وهكذا نرى أنه صلى الله عليه وسلم أقام الحدود على من ارتكب ذنباً فيه حد بموجب الشريعة، ولم يمنعهم سهمهم من

---

١٠٤ انظر: *فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية* ١٣/٣٣٧ – *تفسير ابن كثير* ٣/٥٥٥ – ٥٥٦.

١٠٥ انظر: *الفصل* لابن حزم ٤/٢٣٧.

الإسلام، ولم يخرج أسماءهم من بين أهليهم، ولذا لم يقدروا عن الإجابة بل لجأوا إلى الظواهر التي ألفتها عقولهم السخيفة[١٠٦].

ثانياً: رد أهل السنة والجماعة على قول الخوارج والمعتزلة: إن عصاة الموحدين في النار خالدين

اتفق أهل السنة والجماعة على أن المؤمن لا يخرج عن الإيمان بارتكاب شيء من الكبائر إذا لم يعتقد إباحتها، وإذا عمل شيئاً عفا عنه وإن شاء عاقبه بقدر ذنوبه ثم أدخله الجنة برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته[١٠٧] مستدلين على ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[١٠٨].

وبقوله صلى الله عليه وسلم في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه (بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف؛ فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه)[١٠٩] ولقوله صلى الله عليه وسلم: (يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من كان في قلبه

---

١٠٦ انظر: *أهم الفرق الإسلامية* – محمد الطاهر التيفرص ٦١ – الشركة التونسية للتوزيع.

١٠٧ انظر: *شرح السنة* – الإمام البغوي ١٠٣/١ تحقيق: شعيب الأرناءوط، زهير الشاويش، نشر المكتب الإسلامي.

١٠٨ سورة النساء: ٤٨.

١٠٩ رواه البخاري – كتاب الإيمان – باب علامة الإيمان حب الأنصار.

مثقال حبة من خردل من إيمان فيخرجون منها قد أسودوا فيلقون في نهر الحيا – أو الحياة... فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل)[١١٠].

إذن ما استدلت به المعتزلة وقبلهم الخوارج فهو عليهم وليس لهم، ففي قوله تعالى ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾[١١١] دلالة واضحة على أنه لابد من شفاعة وأن الشفاعة لعصاة الموحدين، وليست للكافرين لقوله تعالى: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾[١١٢] حتى يشفع فيهم الشافعون من ملائكة وأنبياء وسائر المؤمنين[١١٣].

ولقوله صلى الله عليه وسلم: (لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني خبأت دعوتي شفاعة لأمتي إلى يوم القيامة هي نائلة إن شاء الله لمن مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً)[١١٤].

إذن فالمعتزلة والخوارج بقولهم: إن من دخل النار من عصاة الموحدين فليس بخارج منها، أخطأوا في التأويل خطأً فاحشاً، لأنهم عمدوا إلى آيات نزلت في الكفار وجعلوها في عصاة الموحدين، وبهذا خالفوا الكتاب والسنة وعارضوا بمتشابه القرآن وبما

---

١١٠ رواه البخاري – كتاب الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال. كذلك مسلم في كتاب الإيمان – باب إثبات الشفاعة.

١١١ سورة المدثر: ٤٨.

١١٢ سورة الحجر: ٢.

١١٣ انظر: *الشريعة* للآجري، ص ٣٤٤، ٣٤٥.

١١٤ رواه البخاري في عدة مواضع من صحيحة، انظر: كتاب الدعوات: باب لكل نبي دعوة، وفي التوحيد: باب المشيئة والإرادة "وما تشاءون إلا أن يشاء الله"، مسلم في الإيمان، باب اختباء النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لأمته.

أراهم العقل، وكذبوا بالشفاعة واتبعوا طريق من زاغ عن الحق ولعب به الشيطان، فخرجوا بقولهم عن جملة ما عليه أهل الإيمان.[١١٥]

المبحث الثالث: حقيقة الإيمان عند المرجئة والرد عليهم

المرجئة: هم الذين يرجئون أي يؤخرون العمل عن الإيمان، وهم ثلاثة أصناف: (الجهمية – الكرامية – مرجئة الفقهاء ومن تبعهم...).

أولاً: حقيقة الإيمان عند الجهمية والرد عليهم

الجهمية: هم أتباع الجهم بن صفوان الذي زعم أن الإيمان مجرد معرفة قلبية فقط، وأنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة[١١٦]، ولهذا فالكفر عندهم شيء واحد هو الجهل كما أن الإيمان عندهم شيء واحد، وهو العلم أو تكذيب القلب وتصديقه، ولم يكف الجهمية أن جعلوا كل كافر جاهلاً بالحق بل قالوا هو لا يعرف أن الله موجود[١١٧].

وهؤلاء غلطوا في أصلين عظيمين:

أحدهما: ظنهم أن الإيمان مجرد تصديق وعلم فقط ليس معه عمل وحال وحركة وإرادة ومحبة وخشية قلب.

---

١١٥ انظر: *الشريعة للآجري*، ص ٣٤٠، ٣٤١.

١١٦ أنظر *مقالات الإسلاميين* ٢١٣/١، ٢١٤ تحقيق: محمد محيي الدين، ط ٢ – النهضة، ١٣٩٢، مصر. كذلك *الملل والنحل* – الشهرستاني ٨٨/١، ١٣٩.

١١٧ انظر: *فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية* ١٨٩/٧، ١٩٣.

الثاني: ظنهم أن كل من حكم الشارع بكفره وتخليده في النار فإن ذاك لأنه لم يكن في قلبه شيء من العلم والتصديق، وهذا أمر خالفوا به الحس والعقل وما أجمع عليه طوائف بني آدم السليمي الفطرة [١١٨].

ولهذا كفر السلف كوكيع بن الجراح وأحمد بن حنبل وأبي عبيد من يقول بهذا القول للأسباب التالية:

١ - إن إبليس كافر بنص القرآن لا لكونه كذب خبراً، وإنما لاستبداده بالرأي في مقابلة النص، واختياره الهوى في معارضة الأمر، واستكباره بالمادة التي خلق منها وهي النار على مادة آدم عليه السلام وهي الطين[١١٩].

٢ - كذلك كفر فرعون وقومه الذي كان من أكبر خلق الله عناداً وبغياً كان لفساد إرادته وقصده لا لعدم علمه؛ لقوله تعالى: على لسان نبيه موسى لفرعون: ﴿ **لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر...** ﴾ [١٢٠] فدلت الآية على أن فرعون كان عالماً بأن ما جاء به موسى من تسع آيات بينات أنها من عند الله تعالى ولهذا قال تعالى: ﴿ **وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا** ﴾ [١٢١].

٣ - كذلك اليهود الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [١٢٢].

---

١١٨ انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ١٩٠/٧ ، ١٩١.

١١٩ انظر: *الملل والنحل* – للشهرستاني ١٦/١ ، فتاوى: ١٨٩/٧ ، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ٢ : ٥٢.

١٢٠ سورة الإسراء : ١٧.

١٢١ سورة النمل : ١٤.

١٢٢ سورة البقرة : ١٤٦.

٤ - كذلك المشركون الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[١٢٣].

بل إن عامة من كذب الرسل علموا أن الحق معهم، وأنهم صادقون لكنهم يرون أن في إتباعهم ترك الأهواء المحبوبة إليهم أو حصول أمور مكروهة إليهم فيكذبونهم ويعادونهم فيكون من أكفر الناس كإبليس وفرعون، مع علمهم بأنهم على الباطل والرسل على الحق.[١٢٤]

ولهذا لا يذكر الكفار حجة صحيحة تقدح في صدق الرسل، إنما يعتمدون على مخالفة أهوائهم كقولهم لنوح: ﴿ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[١٢٥] ومعلوم أن إتباع الأرذلين له لا يقدح في صدقه. لكن كرهوا مشاركة أولئك، كما طلب المشركون من النبي صلى الله عليه وسلم إبعاد الضعفاء، كسعد بن أبي وقاص، وابن مسعود ونحوهم فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾[١٢٦]. ومثل قول فرعون: ﴿ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ

---

١٢٣ سورة الأنعام: ٣٣؛ وانظر: *فتاوى* ١٨٩/٧، ١٩٠.

١٢٤ انظر: *فتاوى* ١٩١/٧.

١٢٥ سورة الشعراء: ١١١.

١٢٦ سورة الأنعام: ٥٢.

لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[١٢٧] ومثـل قـول عامـة المشـركين: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾[١٢٨].

بل أبو طالب وغيره كانوا يحبون النبي صلى الله عليه وسلم ويحبون علو كلمته وليس عندهم حسد له. وكانوا يعلمون صدقه ولكنهم لم يتبعوه، لأن في اتباعهم له مفارقة دين آبائهم وذم قريش لهم، فما احتملت نفوسهم ذلك. هؤلاء جميعاً لم يتركوا الإيمان لعدم العلم بصدق الإيمان به بل لهوى النفس. فكيف يقال: إن كل كافر إنما كفر لعدم علمه بالله.[١٢٩]

ثانياً: حقيقة الإيمان عند الكرامية والرد عليهم

الكرامية: هم أتباع عبدالله محمد بن كرام: ومعنى الإيمان عندهم هو الإقرار باللسان فقط دون التصديق بالقلب، ودون سائر الأعمال فالمنافق عندهم كامل الإيمان في الدنيا، مستحق للعقاب الأيدي في الآخرة لأنه لا يدخل الجنة إلا من آمن ظاهراً وباطناً.[١٣٠] إن مقتضى قول الكرامية في معنى الإيمان باطل لأن حقيقة الإيمان مركبة من ثلاثة أركان وهي قول باللسان واعتقاد بالجنان. وعمل بالجوارح؛ فمن قال بلسانه آمنت وحقق قوله عمله فهو مؤمن صادق لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

---

١٢٧ سورة المؤمنون: ٤٧.

١٢٨ سورة الزخرف: ٢٢.

١٢٩ انظر: *فتاوى* ٧/١٩١، ١٩٣.

١٣٠ انظر: الملل والنحل للشهرستاني ١/١٠٨ وانظر: *مقالات الإسلاميين الأشعري* ١/٣٢٣ كذلك *مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية* ٧/١٤١، *شرح العقيدة الطحاوية* لابن أبي العز الحنفي ٢/٥١.

بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[١٣١] أي الصادقون في قولهم آمنا بالله.

أما من قال بلسانه ما ليس في قلبه فهو كاذب منافق وهو من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[١٣٢] والقرآن الكريم فيه كثير من هذا يصف المؤمنين بالصدق والمنافقين بالكذب، لأن الطائفتين قالتا بألسنتهما آمنا؛ فمن حقق قوله بعمله فهو مؤمن صادق، ومن قال بلسانه ما ليس في قلبه فهو كاذب منافق. قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ ﴾[١٣٣] وقد ذكر الله المنافقين في ثلاث عشر آية في سورة البقرة فقط وبين عدم الإيمان لهم وأنهم يخادعون الله، وأنهم مرضى القلوب، مفسدون سفهاء... الخ، فإذا كان هذا قول الله تعالى فيهم فكيف يحكم بإيمانهم.[١٣٤]

أما تفرقتهم بين الأحكام الدنيوية والأخروية فهذه لا تجدي شيئاً فكيف نحكم لهم بالإيمان ثم نقول: إنهم مخلدون في النار؟[١٣٥].

---

١٣١ سورة الحجرات: ١٥.

١٣٢ سورة البقرة: ٨ -٩ -١٠.

١٣٣ سورة آل عمران: ١٦٦ -١٦٧.

١٣٤ أنظر فتاوى ٧: ١٨٢ كذلك *العقائد بأدلتها النقلية والعقلية* – أحمد بن حجر آل أبو طامي ٤٢١/١ ط١، ١٤١٥، قطر.

١٣٥ المرجع السابق ٤٢١/١.

ثالثاً : مرجئة الفقهاء ومن تبعهم

مرجئة الفقهاء ومن تبعهم من كلابية وأشعرية وما تريدية الذين قالوا: إن الإيمان يشمل ركنين فقط هما تصديق القلب وإقرار اللسان. قال الإمام أبو حنيفة النعمان رحمه الله: (الإيمان هو الإقرار والتصديق)[١٣٦]. وقال شارح الطحاوية : (ذهب كثير من أصحابنا إلى ما ذكره الطحاوي: أنه الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان)[١٣٧].

وقال أبو الحسن الأشعري: والفرقة التاسعة من المرجئة (أبو حنيفة وأصحابه، يزعمون أن الإيمان المعرفة بالله والإقرار بالله، والمعرفة بالرسول والإقرار بما جاء من عند الله في الجملة دون التفسير)[١٣٨].

ومن الجدير بالذكر أن أبا الحسن الأشعري له قولان في معنى الإيمان ففي كتابه اللمع عرف الإيمان بأنه التصديق[١٣٩]. وفي مقالات الإسلاميين: عرفه بأنه قول وعمل[١٤٠]. بل إنه في كتاب الإبانة عرفه بأنه (قول وعمل يزيد وينقص)[١٤١] وفي هذا دلالة واضحة على رجوعه إلى مذهب السلف خاصة وأن كتاب الإبانة من الكتب التي ألفها في آخر حياته.

أما أصحاب الأشعري فقد عرفوا الإيمان بأنه التصديق يوضح ذلك قول الباقلاني: (الإيمان هو التصديق بالله تعالى، وهو العلم والتصديق يوجد في القلب)[١٤٢].

---

١٣٦ *الفقه الأكبر*، الإمام أبو حنيفة مع شرحه للقاري ص ٣٠٤ ط دائرة الكتب العلمية، ١٣٩٩هـ.

١٣٧ *شرح العقيدة الطحاوية* ٢/٤٥٩.

١٣٨ *مقالات الإسلاميين* ٢/٢١٩ -٢٢١.

١٣٩ أنظر: *اللمع* ص ١٥٤.

١٤٠ أنظر: *مقالات الإسلاميين* ١/١٥٤.

١٤١ *الإبانة عن أصول الديانة*، ص ٢٧، ط٢، ١٤٠٥، الجامعة الإسلامية.

١٤٢ *التمهيد* - الباقلاني ص ٣٨٩ – تحقيق: عماد الدين أحمد بن حيدر، ط١، ١٤٠٧هـ، مؤسسة الكتب الثقافية.

يقول الجويني في كتابه الإرشاد: (المرضى عندنا أن حقيقة الإيمان التصديق بالله فالمؤمن بالله من صدقه)[١٤٣].

أما في كتابة العقيدة النظامية فيقول: (والمؤمن على التحقيق: من أنطوى عقداً على المعرفة بصدق من أخبر عن صانع العالم، وصفاته وأنبائه، فإن اعترف بلسانه ما عرف بجنانه فهو مؤمن ظاهراً وباطناً، وإن لم يعترف بلسانه معانداً لم ينفعه علم قلبه)[١٤٤].

كذلك الماتريدية اتفقوا مع أصحاب أبي الحسن الأشعري على أن الإيمان هو التصديق بالقلب وزاد بعضهم إلى أنه التصديق بالقلب والإقرار باللسان.[١٤٥]

وهكذا اتضح لنا مما سبق أن هذا الصنف من المرجئة منهم من فسر الإيمان بأنه تصديق القلب وقول اللسان، ومنهم من عرفه بأنه التصديق فقط، ومع أنهم لم يتفقوا مع من قال بأن الإيمان هو المعرفة إلا أن في قولهم تقوية لمذهب من قال بذلك وتشجيع للفساق على اجتراح السيئات والمعاصي.

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (والمرجئة الذين قالوا: الإيمان تصديق القلب، وقول اللسان، والأعمال ليست منه كان منهم طائفة من فقهاء الكوفة وعبادها، ولم يكن قولهم مثل قول جهم، فعرفوا أن الإنسان لا يكون مؤمنا إن لم

---

١٤٣ الإرشاد ص ٣٣٣ – تحقيق: أسعد تميم، ط١، ١٤٠٥، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

١٤٤ *العقيدة النظامية*، ص ٨٥ تحقيق د: أحمد حجازي السقا، ط ١، ١٣٩٨هـ، مكتبة الكليات الأزهرية.

١٤٥ انظري: التوحيد للماتريدي، ص ٣٧٣ -٣٧٩ حققه وقدم له د/ فتح الله خليف، دار المشرق، بيروت، كذلك *تبصرة الأدلة* لأبي المعين النسفي ١/٨٠٠ -٨٠٤ تحقيق: كلود سلامة، ط ١، ١٩٩٠. شرح *العقائد النسفية*. سعد الدين التفتازاني، ص ٥٦ -٥٩ تحقيق: كلود سلامة، ط ١، د.ت.

يتكلم بالإيمان مع قدرته عليه، وعرفوا أن إبليس وفرعون وغيرهما هما كفار مع تصديق قلوبهم، لكنهم إذا لم يدخلوا أعمال القلوب في الإيمان لزمهم قول جهم، وإن أدخلوها في الإيمان لزمهم دخول أعمال الجوارح أيضاً؛ فإنها لازمة لها)[١٤٦].

أدلة المرجئة على خروج الأعمال من مسمى الإيمان

احتج هؤلاء المرجئة بحجج شرعية بسببها اشتبه عليهم الأمر[١٤٧] وهذه الحجج كالتالي:

١ - قوله تعالى مخبراً عن أخوة يوسف صلوات الله عليه: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾[١٤٨] أي بمصدق لنا. قالوا: الإيمان في الشريعة هو الإيمان المعروف في اللغة لأن الله عز وجل ما غير لسان ولا قلبه، ولو فعل ذلك لتواترت الأخبار بفعله، وتوفرت دواعي الأمة على نقله... فدل ما قلناه على أن الإيمان هو ما وصفناه دون ما سواه من سائر الطاعات من النوافل والمفروضات)[١٤٩].

٢ - قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[١٥٠]. قالوا: تدل هذه الآية وغيرها على أن الله تعالى عطف الأعمال الصالحة على الإيمان، ولا شك في ثبوت المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه[١٥١].

---

١٤٦ الإيمان ضمن *مجموع الفتاوى* ٧/١٩٤ — ١٩٥.

١٤٧ انظر : الإيمان ضمن *مجموع الفتاوى* ٧/١٩٤.

١٤٨ سورة يوسف/١٧.

١٤٩ *التمهيد*: الباقلاني، ص ٣٩٠ ؛ وانظر: *التوحيد* للماتريدي، ص ٢٨٨، حققه وقدم له د/ فتح الله خليف، دار المشرق، بيروت، د.ت — كذلك *التمهيد* : لأبي المعين النسفي، ص ٢٨٤، تحقيق: حبيب الله حسن أحمد، ط١ ، ١٤٠٦ -١٩٨٦م ، المحمدية، الأزهر.

١٥٠ سورة يونس: ٩.

٣ - قولـه تعـالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾[152]. قـالوا: إن الله تعـالى خاطـب باسـم الإيمـان، ثـم أوجب الأعمال على العباد وفي هذا دليل على قصر اسم الإيمان على التصديق[153]. حسب اعتقادهم.

موقف أهل السنة والجماعة مما استدل به المرجئة على خروج الأعمال من الإيمان

بـين أهـل السـنة والجماعـة أن الألفـاظ الموجـودة في القـرآن والحـديث إذا عـرف تفسيرها، وما أريد بها من جهة النبي صلى الله عليه وسلم، لم نحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة وغيرهم... فاسم الصلاة والزكاة والصيام والحج ونحو ذلك قد بين صلى الله عليه وسلم ما يراد بها في كلام الله ورسوله، وكذلك الخمر وغيرها، فلو أراد أحد أن يفسرها، بغير ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل منه... واسم الإيمان والإسلام والنفاق والكفر، هي أعظم من هذا كله وقد بينها صلى الله عليه وسلم بياناً لا يحتاج معه إلى الاستدلال على ذلك، بالاشتقاق وشواهد استعمال العرب، ونحو ذلك، فلهذا يجب الرجوع في مسميات هذه الأسماء إلى بيان الله ورسوله، فإنه شاف كاف... وأهل البدع إنما دخل عليهم الداخل، لأنهم أعرضوا عن هذه الطريق، وصاروا يبنون

---

١٥١ انظر: شرح المواقف في علم الكلام – الجرجاني، ص ٣٨٥ تحقيق: د. أحمد المهدي، مكتبة الأزهر، بدون، وانظر: *التوحيد* للماتريدي، ص ٢٨٩.

١٥٢ سورة البقرة : ١٨٣.

١٥٣ انظر: المواقف للإيجي ص ٣٨٥ كذلك إتحاف المريد بجوهرة التوحيد، عبدالسلام بن إبراهيم اللقاني، ص ٥٥ -٥٦ – تحقيق: محمد محيي الدين، ط ٢، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م، دار القلم، حلب، كذلك *التوحيد*: للماتريدي، ص ٣٧٨.

دين الإسلام على مقدمات يظنون صحتها، إما في دلالة الألفاظ، وإما في المعاني المعقولة، ولا يتأملون بيان الله ورسوله، وكل مقدمات تخالف بيان الله ورسوله فإنها تكون ضلالاً[154] ولهذا فإن الرد على احتجاج هؤلاء المرجئة ومن وافقهم، ألا هو إجماع أهل اللغة قاطبة على أن الإيمان قبل نزول القرآن هو التصديق، على النحو التالي:

١ - إن أهل اللغة إن قصد بهم المتكلمون باللغة قبل الإسلام فهؤلاء لم نشهدهم، ولا نقل لنا أحد عنهم أن الإيمان عندهم قبل نزول القرآن هو التصديق، وإن قصد بهم نقلتها كأبي عمرو والأصمعي والخليل، فهؤلاء لا ينقلون كل ما كان قبل الإسلام بإسناد، وما نقلوه بإسناد هو ما سمعوه من العرب في زمانهم، أو ما سمعوه في دواوين الشعر وكلام العرب، بل إن بعضهم يذهب إلى أن الإيمان في اللغة: مأخوذ من الأمن الذي هو ضد الخوف والبعض الآخر يذهب إلى أنه بمعنى الإقرار وغيره، فمن أين يعلم هذا الإجماع.[155]

٢ - لو قدر أنهم نقلوا كلاماً عن العرب يفهم منه أن الإيمان هو التصديق، فليس ذلك بأبلغ من نقل المسلمين كافة لمعاني القرآن عن النبي صلى الله عليه وسلم، فاسم الإيمان قد تكرر ذكره في القرآن والحديث، أكثر من ذكر سائر الألفاظ، وهو أصل الدين، ومعلوم أن الشاهد الذي استشهدوا به على أن الإيمان: هو التصديق من القرآن، ونقل معنى الإيمان متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم أعظم من تواتر لفظ الكلمة.[156]

٣ - إنه لو قدر أن الإيمان في اللغة التصديق، فمعلوم أنه ليس التصديق بكل شيء، بل بشيء مخصوص، وهو ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم، وحينئذ

---

١٥٤ انظر: الإيمان: *لشيخ الإسلام ابن تيمية* ص ٢٧١، ٢٧٣.

١٥٥ انظر: المرجع السابق، ص ١١٧، ١١٨، ٢٧٨.

١٥٦ انظر: المرجع السابق، ١١٨، ٢٧٤.

يكون الإيمان في كلام الشارع، أخص من الإيمان في اللغة، ومعلوم أن الخاص ينضم إليه قيود لا توجد في جميع العام كقول اللسان، وعمل القلب والجوارح، فيكون الإيمان في كلام الشارع مؤلفاً من العام والخاص.[١٥٧]

٤ - لأن لفظ التصديق يستعمل في كل خبر. فيقال: لمن أخبر بالأمور المشهورة مثل الواحد نصف الاثنين، والسماء من فوقنا: صدقت وصدقنا بذلك، فيتعدى بنفسه إلى المصدق، ولا يقال آمنا لك ولا آمنا بهذا إلا في المخبر به من الأمور الغائبة، فلفظ الإيمان لا يستعمل إلا في الخبر عن غائب؛ لأن الإيمان مشتق من الأمن، فاستعماله في خبر يؤتمن عليه المخبر، كالأمر الغائب الذي يؤتمن عليه المخبر، ومن ثم يقال للمخبر آمنا لك، وللمخبر به آمنا به[١٥٨]. ولهذا لم يوجد في القرآن وغيره لفظ (آمن له) إلا في هذا النوع، فاللفظ متضمن مع التصديق معنى الائتمان والأمانة، كما يدل عليه الاستعمال والاشتقاق؛ ولهذا قال أخوة يوسف: ﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾[١٥٩]، لأنهم أخبروه عن غائب، ولم يكونوا عنده ممن يؤتمن على ذلك حتى لو صدقوا[١٦٠].

٥ - إن لفظ الإيمان في اللغة لم يقابل بالتكذيب، كلفظ التصديق، فإنه من المعلوم في اللغة أن كل مخبر يقال له: صدقت أو كذبت، ويقال: صدقناه أو كذبناه، ولا يقال له: آمنا له أو أنت مؤمن له، أو مكذب له بل المعروف في مقابلة الإيمان لفظ الكفر، ومن المعلوم أن الكفر ليس هو التكذيب فقط بل مخالفة ومعاداة، وامتناعاً عن طاعة

---

١٥٧ انظر: المرجع السابق ص ١٢١.

١٥٨ *فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية* ٥٢٩/٧، ٥٣٠.

١٥٩ سورة يوسف: ١٧.

١٦٠ انظر: الإيمان: لابن تيمية ص ٢٧٦، ٢٧٧.

المخبر، فلابد أن يكون الإيمان تصديقاً مع موافقة وموالاة وانقياداً حيث لا يكفي مجرد التصديق[١٦١].

أما ما استدلوا به من الآيات على أن الأعمال ليست من مسمى الإيمان، لأنه ورد في القرآن عطف الأعمال على الإيمان؛ في مواضع كثيرة منها: ﴿ **الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾[١٦٢] فمن المعلوم أن عطف الشيء على الشيء يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه مع الاشتراك في الحكم الذي ذكر لهما والمغايرة على مراتب أعلاها:

١ - أن يكونا متباينين، وليس أحدهما هو الآخر، ولا جزء منه ولا بينهما تلازم، كقوله تعالى: ﴿ **خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ** ﴾[١٦٣] وقوله تعالى: ﴿ **وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ** ﴾[١٦٤] وهذا هو الغالب.

٢ - يليه أن يكون بينهما تلازم كقوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ** ﴾[١٦٥] ﴿ **أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ** ﴾[١٦٦].

٣ - عطف بعض الشيء على الشيء لاختلاف الصفتين كقوله تعالى: ﴿ **غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ** ﴾[١٦٧].

---

١٦١ انظر: المرجع السابق، ص ٢٧٧.

١٦٢ سورة البقرة : ٢٣٨.

١٦٣ سورة الأنعام: ١.

١٦٤ سورة آل عمران: ٢.

١٦٥ سورة البقرة : ٤٢.

١٦٦ سورة محمد: ٣٣.

١٦٧ سورة غافر : ٣.

٤ - عطف بعض الشيء عليه كقوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾[١٦٨] ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾[١٦٩] فالصلاة الوسطى داخله في لفظ الصلوات أولاً ثم ذكرت باسمها الخاص تخصيصاً لها، وجبريل وميكال من الملائكة، ثم ذكر باسميهما تخصيصاً لهما، وهذا في كل ما عطف فيه خاص على عام، والجزء على الكل، ومنه قوله تعالى: ﴿الذين أمنوا وعملوا الصالحات﴾ فذكر الإيمان أولاً، لأنه الأصل الذي لابد منه، ثم ذكر العمل الصالح، لأنه من تمام الدين الذي لابد منه، وعطف الأعمال دليل أنه لا يكتفي بإيمان القلب وحده، بل لابد من الأعمال الصالحة، بل متى نقصت الأعمال الظاهرة كان ذلك لنقص الإيمان الذي في القلب، فصار متناولاً للملزوم واللازم، فإذا انتفى اللازم انتفى الملزوم[١٧٠].

أما قولهم: إن الله خاطب المؤمنين بالإيمان، وإن النصوص دلت على ثبوت الإيمان قبل مجيء الأوامر والنواهي فالجواب عنه بأن يقال: (إن قلتم: إنهم خوطبوا قبل أن تجب تلك الأعمال؛ فقبل وجوبها لم تكن من الإيمان، وكانوا مؤمنين الإيمان الواجب عليهم قبل أن يفرض عليهم ما خوطبوا بفرضه، فلما نزل إن لم يقروا بوجوبه لم يكونوا مؤمنين، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[١٧١]. ولهذا لم يجيء ذكر الحج في أكثر الأحاديث التي فيها ذكر الإسلام والإيمان، كحديث وفد عبدالقيس... وذلك لأن الحج آخر ما فرض من الخمس، فكان قبل فرضه لا يدخل في الإيمان والإسلام، فلما فرض أدخله

---

١٦٨ سورة البقرة: ٢٣٨.

١٦٩ سورة البقرة: ٩٨.

١٧٠ انظر: *فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية* ٧/١٩٨، ١٩٩؛ شرح *الطحاوية* ٢/٦٧، ٦٨.

١٧١ سورة آل عمران: ٩٧.

النبي صلى الله عليه وسلم في الإيمان إذا أفرد، وأدخله في الإسلام إذا قرن بالإيمان وإذا أفرد)[١٧٢] ولهذا لما ألزم المرجئة من الأشاعرة وغيرهم الذين قالوا: إن الإيمان هو التصديق بالقلب بعدم الفرق بين مذهبهم، وبين مذهب الجهم بن صفوان الذي كان الإيمان عنده هو المعرفة، وأن لازم قولهم كلازم قوله، فقد كان لازم قوله إن فرعون وقومه كانوا مؤمنين، لأنهم عرفوا صدق موسى وهارون عليهما السلام، ولم يؤمنوا بهما؛ ولهذا قال موسى لفرعون: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ ﴾[١٧٣] وقال تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[١٧٤] وأهل الكتاب كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم، كما يعرفون أبناءهم، ولم يكونوا مؤمنين به، بل كانوا كافرين به معاندين له، بل أبليس يكون عندهم مؤمناً كامل الإيمان فإنه لم يجهل ربه، بل كان عارف[١٧٥]. فلما أفحموا وتيقنوا أن لازم مذهبهم أن يكون إيمان المنهمك في فسقه كإيمان النبي صلى الله عليه وسلم، أجابوا إجابة في غاية الفساد فقالوا: (النبي صلى الله عليه وسلم يفضل من عداه باستمرار تصديقه)، وعصمة الله إياه من مخامرة الشكوك واختلاج الريب، والتصديق عرض لا يبقى، وهذا متوال للنبي صلى الله عليه وسلم، ثابت لغيره في بعض الأوقات زائل عنه في أوقات وفترات، فيثبت للنبي صلى الله عليه وسلم أعداد التصديق لا يثبت لغيره إلا بعضها، فيكون إيمانه بذلك أكثر)[١٧٦] فالنبي صلى الله عليه وسلم حسب ما زعموا: إنما

---

١٧٢ فتاوى *شيخ الإسلام ابن تيمية* ١٩٨/٧.

١٧٣ سورة الإسراء: ١٠٢.

١٧٤ سورة النحل: ١٤.

١٧٥ أنظر: *فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية* ١٥١/٧ وما بعدها؛ شرح *الطحاوية* ٥٢/٢.

١٧٦ *الإرشاد*: للجويني ص ٣٩٩ - ٤٠٠.

يفضل غيره في الإيمان باستمرار تصديقه وعصمته من الشكوك فقط، وليس ببلوغه الغاية في التصديق واليقين والأعمال التي هي من الإيمان ويحصل فيها التفاوت بين الأمة[١٧٧]، بل إن منهم من فرق بين التصديق واليقين الذي يتعذر الفرق بينهما، فاليقين هو التصديق، والتصديق من الإيمان ولابد من عمل القلب، مثل حب الله ورسوله وخشية الله، وحب ما يحبه الله ورسوله وبغض ما يبغضه الله ورسوله، وإخلاص العمل لله وحده، وتوكل القلب على الله وحده، وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله، وجعلها من الإيمان والتصديق الذي لا يكون معه شيء من ذلك ليس إيماناً البته، بل هو كتصديق فرعون، واليهود وإبليس، وهذا ما أنكره السلف على الجهمية[١٧٨] والقرآن ليس فيه ذكر إيمان مطلق غير مفسر، بل إن لفظ الإيمان فيه إما مقيد، وإما مطلق مفسر، فالمقيد كقوله تعالى: ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾[١٧٩] وقوله: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ ﴾[١٨٠] والمطلق المفسر كقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾[١٨١] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾[١٨٢] وأمثال هذه الآيات كثير، فكل إيمان مطلق في القرآن، فقد بين تعالى فيه أن لا يكون الرجل مؤمناً إلا بالعمل

---

١٧٧ انظر: *فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية* ٧/١٥٣.

١٧٨ أنظر : الإيمان: لابن تيمية ١٧٦ ، ٢٩٢.

١٧٩ سورة البقرة : ٣.

١٨٠ سورة يونس : ٨٣.

١٨١ سورة الأنفال : ١.

١٨٢ سورة الحجرات : ١٥.

مع التصديق[١٨٣] ، وبهذا وغيره يعلم فساد قولهم : من أن الإيمان هو التصديق وأنه لا يزيد ولا ينقص وفساد تأويلاتهم للنصوص الشرعية ، وأن الصواب ما دل عليه الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة من أن الإيمان قول وعمل واعتقاد وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

الفصل الثاني: العبادة وعلاقتها بالإيمان

اتضح لنا في مباحث الفصل الأول من هذا البحث أن من خالف أهل السنة والجماعة في حقيقة الإيمان كانوا على طرفي نقيض فالخوارج غلبوا جانب الخوف من الله على جانب الرجاء منه فكانت حقيقته عندهم أنه كل لا يتجزأ إذا ذهب بعضه ذهب كله ، وعلى العكس المرجئة الذين غلبوا جانب الرجاء على جانب الخوف ولهذا أخرجوا الأعمال عن مسمى الإيمان ، أما أهل السنّة والجماعة فكانوا وسط في ذلك يخافون عقابه ويرجون رحمته ، لعلمهم أن للعبادة ركائز ترتكز عليها ولهذا سأتكلم في هذا الفصل عن العبادة وعلاقتها بالإيمان.

المبحث الأول: معنى العبادة لغة وشرعاً

العبادة لغة

أصل العبادة مأخوذ من الفعل عبد ، ويعني الخضوع والتذلل والانقياد. يقال طريق معبد : أي مذلل للسير عليه بسهولة ، كما يقال بعير معبد : مذلل للركوب. والعبادة : الطاعة والتعبد : التنسك ، والعبودية : الخضوع والذل : يقال عبد عبادة وعبودية بمعنى

---

١٨٣ الإيمان : لابن تيمية ١٢١ – ١٢٢.

أطاع وخضع وانقاد وذل[١٨٤]، والعبادة لله وحده لا شريك له، لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾[١٨٥].

العبادة شرعاً

ورد في معناها شرعاً تعاريف كثيرة أهمها:

١ - تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية: (العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى المحبة، فهي تتضمن غاية الذل لله تعالى بغاية المحبة لله)[١٨٦].

وقد أكد هذا المعنى تلميذه ابن قيم الجوزية حيث قال: العبادة تجمع أصلين: (غاية الحب بغاية الذل والخضوع، فمن أحببته ولم تكن خاضعاً له لم تكن عابداً له، ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابداً له، حتى تكون محباً خاضعاً)[١٨٧].

أما الحافظ ابن كثير فقد أضاف إلى الأصلين السابقين أصلاً ثالثاً عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[١٨٨] فقال: (وفي الشرع العبادة عبارة عن ما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف)[١٨٩].

---

١٨٤ انظر *لسان العرب* لابن منظور، ٢٦٤/٤.

١٨٥ سورة النحل: ٣٦.

١٨٦ العبودية – شيخ الإسلام ابن تيمية، ص ٩، مكتبة المدني، جدة ١٣٩٨هـ.

١٨٧ مدارج السالكين – لابن قيم الجوزية ٦٣/١ تحقيق أحمد فخري وعصام فارس، دار الجيل، بيروت، د. ت.

١٨٨ سورة الفاتحة: ٥.

١٨٩ *تفسير ابن كثير*: ٢٥/١.

ولهذا فالعبادة: (اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة)[١٩٠]، بل إن هذه الأعمال الظاهرة والباطنة لا تكون عبادة إلا إذا أكمل فيها شيئان وهما كمال الحب مع كمال الذل[١٩١]، لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[١٩٢] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾[١٩٣] وقد جمع الله بين ذلك في قوله: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾[١٩٤].

البحث الثاني: في بيان ركائز العبودية الصحيحة

إن لعبادة الله وحده لا شريك له ركائز ترتكز عليها وهي: الحب والخوف والرجاء، فالحب مع الذل، والخوف مع الرجاء ولابد أن تجتمع هذه الركائز في العبادة.

أما بالنسبة للحب: (فأصل العبادة محبة الله، بل إفراده بالمحبة .... فلا يحب معه سواه، وإنما يحب لأجله وفيه كما يحب أنبياءه ورسله وملائكته وأولياءه، فمحبتنا لهم من تمام محبته وليست محبة معه، كمحبة من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونه كحبه)[١٩٥] لقوله

---

١٩٠ العبودية - لابن تيمية، ص ٥.

١٩١ *أعلام السنة المنشورة* – الشيخ حافظ الحكمي، ص ٦.

١٩٢ سورة البقرة: ١٦٥.

١٩٣ سورة المؤمنون: ٥٧.

١٩٤ سورة الأنبياء: ٩٠.

١٩٥ *مدارج السالكين* – لابن قيم الجوزية ١/١٢٤ تحقيق أحمد فخري، وعصام فارس، دار الجيل، بيروت، د.ت.

تعـالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[١٩٦].

(وإذا كانت المحبة لله هي حقيقة عبوديته وسرها، فهي إنما تتحقق بإتباع أمره واجتناب نهيه... ولهذا جعل تعالى إتباع رسوله علماً عليها وشاهداً لمن ادعاها)[١٩٧] ، فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[١٩٨]. ففي الآية دلالة (على أن متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم هي حب الله ورسوله وطاعة أمرة، ولا يكفي ذلك في العبودية، حتى يكون الله ورسوله أحب إلى العبد مما سواهما)[١٩٩] لقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)[٢٠٠].

ولهذا بين لنا تعالى في كتابه العزيز أن الولاء والبراء سبيل الأنبياء والرسل الذي أمرنا الله بإتباعهم والإقتداء بهم فقال في محكم كتابه عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾[٢٠١] كما نهانا عن موالاة عدوه وعدونا،

١٩٦ سورة البقرة: ١٦٥.

١٩٧ مدارج: ١٢٥.

١٩٨ سورة آل عمران: ٣١.

١٩٩ مدارج ١: ١٢٥.

٢٠٠ رواه البخاري في كتاب الإيمان – باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان، مسلم – نفس الكتاب - باب وجوب محبة الرسول صلى عليه وسلم.

٢٠١ سورة الممتحنة: ٤.

فقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾[٢٠٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وإنما عبدالله من يرضيه ما يرضي الله ويسخطه ما يسخط الله، ويحب من أحبه الله ورسوله، ويبغض ما أبغضه الله ورسوله، ويوالي أولياء الله، ويعادي أعداء الله تعالى، وهذا هو الذي استكمل الإيمان)[٢٠٣].

وقال شارح الطحاوية: (إن محبة رسول الله وأنبيائه وعباده المؤمنين من محبة الله، وإن كانت المحبة التي لله لا يستحقها غيره، فغير الله يحب في الله لا مع الله، فإن المحب يحب ما يحبه محبوبه، ويبغض ما يبغض ويوالي من يواليه، ويعادي من يعاديه، ويرضى لرضائه، ويغضب لغضبه، ويأمر بما يأمر به، وينهي عن ما ينهى عنه، فهو موافق لمحبوبه في كل حال، والله تعالى يحب المحسنين، ويحب المتقين ويحب التوابين ويحب المتطهرين، ونحن نحب من أحبه الله، والله لا يحب الخائنين ولا يحب المفسدين، ولا يحب المستكبرين، ونحن لا نحبهم أيضاً، ونبغضهم موافقة له سبحانه وتعالى).[٢٠٤]

إن المسلم الذي أحب الله تعالى وأحب فيه لابد أن يصاحب محبته ذل وانكسار وخضوع وافتقار لله جل جلاله، لقوله تعالى: ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾[٢٠٥] قال ابن عباس وغيره: (خضعت وذلت واستسلمت الخلائق لجبارها الحي الذي لا يموت، القيوم الذي لا ينام، وهو قيم كل شيء يديره ويحفظه فهو

---

٢٠٢ سورة الممتحنة : ١.

٢٠٣ *مجموع الفتاوى* ١٠ / ١٩٠.

٢٠٤ شرح *العقيدة الطحاوية* لابن أبي العز الحنفي ١١٧/٢ - تحقيق : د. عبدالرحمن عميره، ط٢، ١٤٠٧هـ، المعارف، الرياض.

٢٠٥ سورة طه : ١١١.

الكامل في نفسه الذي كل شيء قصر إليه، لا قوام له إلا به، وقوله: "وقد خاب من حمل ظلماً" أي يوم القيامة).[٢٠٦]

ولهذا قال ابن قيم الجوزية رحمه الله: (الذل والانكسار والخضوع والافتقار لله جل جلاله... وأحب القلوب إلى الله سبحانه قلب قد تمكنت منه هذه الكسرة وملكته الذل، فهو ناكس الرأس بين يدي ربه لا يرفع رأسه إليه حياءً وخجلاً من الله، قيل لبعض العارفين: أيسجد القلب؟ قال نعم يسجد سجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم اللقاء... وإذا سجد القلب لله تعالى هذه السجدة العظمى سجدت معه جميع الجوارح، وعنا الوجه حينئذ للحي القيوم وخشع الصوت والجوارح كلها وذل العبد وخضع واستكان)[٢٠٧].

وأما بالنسبة للخوف والرجاء: فإن مدار سير القلوب إلى الله تعالى فيها يكون حسب المحبة، لأن كل محب راج خائف ولهذا فالقلب في سيره إلى الله تعالى بمنزلة الطائر، المحبة رأسه والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران ومتى فقد أحدهم فهو عرضة لكل صائد وكاسر.[٢٠٨]

وقد أخبر تعالى: (عن خواص عباده الذين كان المشركون يزعمون أنهم يتقربون بهم إلى الله تعالى بأفضل أحوالهم ومقاماتهم من الحب والخوف والرجاء[٢٠٩]، فقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ

---

٢٠٦ *تفسير القرآن العظيم* – لابن كثير ٣/٢١٠ – عالم الكتب، الرياض.

٢٠٧ *مدارج* ١/٤٧٤.

٢٠٨ انظر: *مدارج*: ١/٥٧٠، ٢/٤٤، ٤٦.

٢٠٩ المرجع السابق: ٢/٤٥.

أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾[٢١٠].

ففي الآية السابقة يبين تعالى على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن هؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله من ملائكة وغيرهم أنهم لا يقدرون على دفع ضر عن عبادهم أو تحويله إلى غيرهم، وإنما الذي يقدر على ذلك الله وحده الذي له الخلق والأمر، بل إن الذين تدعونهم من دون الله يطلبون الزلفى والقرب منه تعالى بالتقرب إليه بالطاعة، فهم يرجون بطاعتهم وعبادتهم رحمته ويخافون من غضبه وعذابه.[٢١١]

ولهذا فقد مدح الله عباده الذين جمعوا في عبادتهم لله تعالى بين الخوف والرجاء، فقال تعالى: ﴿ **تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾[٢١٢] وقوله تعالى: ﴿ **أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ** ﴾[٢١٣]. ولهذا قال العلامة ابن القيم رحمه الله: (إن الخوف مستلزم للرجاء، والرجاء مستلزم للخوف، فكل راج خائف وكل خائف راج، ولأجل هذا حسن وقوع الرجاء في موضع يحسن فيه وقوع الخوف، قال تعالى: ﴿ **مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا** ﴾[٢١٤]، قال ابن كثير من المفسرين: (المعنى ما لكم لا تخافون الله عظمة؟ قالوا: والرجاء بمعنى الخوف)[٢١٥].

---

٢١٠ سورة الإسراء: ٥٦ – ٥٧.

٢١١ أنظر: *مختصر تفسير الطبري* ٤٨١/١ – اختصار وتحقيق – الشيخ محمد علي الصابوني، د. صالح أحمد رضا – دار إحياء التراث العربي، ١٤١٤هـ، بيروت.

٢١٢ سورة السجدة: ١٦.

٢١٣ سورة الزمر: ٩.

٢١٤ سورة نوح: ١٣.

٢١٥ *مدارج*: ٥٥/٢.

وهكذا فالإنسان الذي جمع بين الخوف والرجاء استثناه الله تعالى من أصحاب الصفات الذميمة الذي أخبرنا الله تعالى بها في بني جنسه ممن لم يجمع بين ذلك، ألا وهي القنوط واليأس من رحمة الله إذا أصابته مصيبة أو مسه أي ضر أو الأمن من عذابه إذا أذاقه الله النعمة فقال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾[٢١٦].

ففي الآيات السابقة (أخبرنا الله عن الإنسان وما فيه من الصفات الذميمة إلا من رحم الله من عباده المؤمنين، فإنه إذا أصابته شدة بعد نعمة حصل له يأس وقنوط من الخير بالنسبة إلى المستقبل وكفر وجحود لماضي الحال، كأنه لم يرج فرجاً، وهكذا إذا أصابته نعمة بعد نقمة "ليقولن ذهب السيئات عني" أي ليس بعد هذا ضيم ولا سؤ "إنه لفرح فخور" أي فرح بما في يده بطر فخور على غيره، "إلا الذين صبروا" أي في الشدائد والمكاره "وعملوا الصالحات" أي في الرخاء والعافية "أولئك لهم مغفرة" أي بما يصيبهم من الضراء "وأجر كبير" بما أسلفوه في زمن الرجاء)[٢١٧] كما جاء في الصحيحين (والذي نفسي بيده لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له، إن أصابته سراء فشكر كان خيراً له،

---

٢١٦ سورة هود: ٨-١١.

٢١٧ *تفسير القرآن العظيم* لابن كثير ٢/ ٥٤٠ -٥٤١.

وإن أصابته ضراء فصبر كان خيراً له وليس ذلك لأحد غير المؤمن)[٢١٨] وهكذا قال تعالى: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾[٢١٩] وقال تعالى على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾[٢٢٠].

وقال شارح الطحاوية: (الرجاء يستلزم الخوف، ولولا ذلك لكان أمناً، والخوف يستلزم الرجاء، ولولا ذلك لكان قنوطاً ويأساً، وكل أحد إذا خفته هربت منه إلا الله تعالى، فإنك إذا خفته هربت إليه، فالخائف هارب من ربه إلا ربه).[٢٢١]

خاتمة

١ - إن أهل السنة والجماعة اتفقوا على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفراً يخرج عن الملة بالكلية، وأنه لا يستحق الخلود في النار مع الكفار لعلمهم أن المعاصي كلها من شعب الكفر، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان. ولهذا اتفقوا على أن من ارتكب شيء من الكبائر إذا لم يعتقد إباحتها إن شاء الله عفا عنه وإن شاء عاقبه بقدر ذنوبه ثم أدخله الجنة برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته مستدلين على ذلك بقوله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء).

---

٢١٨ أخرجه النسائي في عمل اليوم والقيامة (١٠٦٧) وأخرجه الإمام أحمد في *المسند*، ج ٣، ص ٨٢، رقم ١٤٨٧ وأخرجه الذهبي في *السيرة* ج ١٥، ص ٣٤٢ عن طريق الحسن بن عبيد الله.

٢١٩ سورة العصر: ١-٤.

٢٢٠ سورة الحجر: ٥٦.

٢٢١ شرح *العقيدة الطحاوية*، ٤٥٧/٢.

٢ - الأعمال عند أهل السنة والجماعة من الإيمان ويحصل بها التفاوت بين الأمة واليقين هو التصديق والتصديق من الإيمان والتصديق الذي لا يكون معه عمل ليس إيماناً البته بل هو كتصديق فرعون واليهود وإبليس وهذا ما أنكره السلف على الجهمية.

٣ - إن القرآن الكريم وصف المؤمنين بالصدق والمنافقين بالكذب لأن الطائفتين قالتا بألسنتهما آمنا فمن حقق قوله بعمله فهو مؤمن صادق ومن قال بلسانه ما ليس في قلبه فهو كاذب منافق.

٤ - إن مرجئة الأحناف كان منهم طائفة من فقهاء الكوفة وعبادها ولم يكن قولهم في الإيمان مثل قول جهم لأنهم عرفوا أن الإنسان لا يكون مؤمناً إن يتكلم بالإيمان مع قدرته عليه وعرفوا أن إبليس وفرعون كفار مع تصديق قلوبهم لكن إذا لم يدخلوا أعمال القلوب في الإيمان لزمهم قول جهم وإن أدخلوها فيه لزمهم دخول أعمال الجوارح فإنها لازمة له.

٥ - إن ركائز العبادة الصحيحة ثلاثة وهي الحب والخوف والرجاء فالمسلم الذي أحب الله وأحب فيه لابد أن يصاحب محبته ذل وانكسار وخضوع وافتقار لله جل جلاله ولهذا يكون ممن يحذر الآخرة ويرجو رحمة الله فالخوف مستلزم الرجاء والرجاء مستلزم الخوف.

٦ - إن المسلم الذي جمع بين الخوف والرجاء استثناه الله تعالى من أصحاب الصفات الذميمة الذي أخبرنا الله تعالى بها في بني جنسه ممن لم يجمع بين ذلك آلا وهي القنوط واليأس من رحمة الله إذا أصابته مصيبة أو مسه ضر أو الأمن من عذابه إذا أذاقه الله النعمة.

المراجـــــع

[١] الأشعري، أبو الحسن، الإبانة عن *أصول الديانة* . ط ٢، الجامعة الإسلامية، ١٤٠٥هـ،

[٢] الجقيني. *لإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد*. تحقيق : أسعد تميم، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية. ١٤٠٥هـ.

[٣] إعداد نخبة من العلماء، *أصول الدين في ضوء الكتاب والسنة*، وزارة الشئون الإسلامية، المدينة المنورة، د.ت.

[٤] ابن تيمية. *العبودية*، جدة: مكتبة المدني، ١٣٩٨هـ.

[٥] الحكمي، حافظ. *أعلام السنة المنشورة*، تحقيق: حازم القاضي، ط٢، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف، ١٤٢٠م.

[٦] ابن تيمية. *اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم*. تحقيق: ناصر عبدالله العقل، ط ٤، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

[٧] النيفر، محمد الطاهر. *أهم الفرق الإسلامية*، الشركة التونسية للتوزيع، د.ت.

[٨] ابن تيمية. *الإيمان*، خرج أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني. ط٤. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٣-١٩٩٣.

[٩] النسفي، أبو المعين. *تبصرة الأدلة*، تحقيق: كلود سلامة، ١٩٩٠م.

[١٠] ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، الرياض: دار عالم الكتب.

[١١] *تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل*، تحقيق: عماد الدين حيدر، ط ١١، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٧.

[١٢] ابن عبدالبر، عمر بن يوسف، *التمهيد لما في موطأ مالك من المعاني والاسانيد*، تحقيق: مجموعة من المحققين. نشر وزارة الأوقاف المغربية.

[١٣] الماتريدي، أبو منصور. التوحيد، لأبي منصور الماتريدي، تحقيق: فتح الله خليف، دار المشرق، بيروت، د.ت.

[١٤] الخليلي: أحمد بن حمد. *الحق الدامع*. ١٤٠٩هـ.

[١٥] *شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة*، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة، د. ت.

[١٦] عبدالجبار القاضي. *شرح الأصول الخمسة*، حققه وقدم له: د. عبدالكريم عثمان. ط٣. القاهرة: مكتبة وهبه، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

[١٧] البغوي، *الحسن بن سعود. شرح السنة*، تحقيق: شعيب الأرناءوط، ومحمد زهير الشاويش. ط ٢، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ.

[١٨] التفتازاني، سعد الدين. *شرح العقائد النفسية*. تحقيق: كلود سلامة، د. ت.

[١٩] الحنفي، ابن أبي العز، *شرح الطحاوية في العقيدة السلفية*. تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة. ط٢، الرياض: المعارف، ١٤٠٧هـ/ ١٩٩٦م.

[٢٠] الجرجاني. *شرح المواقف في علم الكلام*. تحقيق: د. أحمد المهدي. مكتبة الأزهر، د.ت.

[٢١] الآجري. *الشريعة*، تحقيق: محمد حامد فقي، لاهور: أنصار السنة النبوية، د.ت.

[٢٢] أبو طامي، أحمد بن حجر. *العقائد السلفية بأدلتها النفلية والعقلية*. قطر: ١٤١٥هـ.

[٢٣] الجويني، *العقيدة النظامية*، تحقيق: أحمد حجازي السقا، قطر: ١٤١٥هـ.

[٢٤] الجويني. *العقيدة النظامي*، تحقيق: أحمد حجازي السقا. مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٩٨هـ.

[٢٥] ابن حجر. *فتح الباري بشرح صحيح البخاري*، تصحيح الشيخ: عبدالعزيز بن باز، ومحب الدين الخطيب. السلفية، ١٣٨٠هـ.

[٢٦] ابن حزم. *الفصل في الملل والأهواء والنحل*، القاهرة: دار السلام العالمية، د.ت.

[٢٧] أبو حنيفة. *الفقه الأكبر*، شرح: ملا علي القاري، مصر: التقدم، ١٣٢٣هـ.

[٢٨] *مجموعة فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية*، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، القاهرة: مكتبة ابن تيمية.

[٢٩] الأصبهاني، أبو القاسم. *المحجة في بيان الحجة*، تحقيق: محمد ربيع المدخلي، الرياض، دار الراية، ١٤١١هـ.

[٣٠] ابن قيم الجوزية. *مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين*، تحقيق: أحمد فخري وعصام فارس. بيروت: دار الجبل، د. ت.

[٣١] ابن منظور. *لسان العرب*، بيروت: دار صادر، بيروت، د. ت.

[٣٢] المقدسي، موفق الدين. لمعة الاعتقاد. تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط. ط٢، دار البيان، ١٣٩١هـ.

[٣٣] الأصفهاني، الراغب. *المفردات*، تحقيق: سيد كيلاني، بيروت: دار المعرفة.

[٣٤] الأشعري، أبو الحسن. *مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين*، تحقيق: محمد محيي الدين. بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

[٣٥] الشهرستاني. الملل والنحل. تحقيق: محمد سيد كيلاني. بيروت: دار المعرفة، د. ت.

The Classical Muslim View on the Real Nature of Believe and a Critical Appraisal of the Opinions of Their Opponents

Haya Al-Ashekh
Assistant Professor; Department of Islamic Studies, King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia

(Received 22/11/1424H.; accepted for publication 28/3/1425H.)

Abstract. The Muslim theologians have differed with regard to the issue of the real nature of belief into three positions, a moderate and two extremes. The classical Muslim view is that belief consists of three components: believing in the heart and utterance by the tongue and actions. They also believe that it can increase and decrease. As a result they do not accept that every sin could lead to rendering Muslim to be non-Muslim, in the same time they do not rule out *takfir*. This is the view of Ahl Al-Sunnah which is the moderate position with regard to belief. The two extreme positions in this issue are represented by Al-Khawarij and Al-Mutazila from one side and by Al-Murji'ah by the other.

Al-Khawarij and Al-Mutazila agreed with Ahl Al-Sunnah on the fact that it is composed of three components, as clarified before, but they were of the view that belief does not increase or decrease. This led Al-Khawarij to believe that sin rendered Muslim to be unbeliever, and Al-Mutazila were of the view that sins render the believer to a state between belief and infidelity, the punishment for which is that the sinner will be cast in hell forever.

The other extreme position in this issue is that of Al-Murji'ah who consists of three groups: Al-Jahmiyyah, Al-Karramiyyah and Murji'ah Al-Fuqaha. Al-Jahmiyyah claimed that belief is a mere heartily knowledge and this is why they were pronounced by Al-salaf, such as Waki' ibn Al-Jarah, Ahmad ibn Hanbal and Abu 'Ubayd, to be infidels. Whereas Al-Karramiyyah asserts that utterance by the tongue is the only needed component for belief. It is well known that whoever his words contradict his belief he is a hypocrite.

Murji'ah Al-Fuqaha have differed in this issue. Some of them defined faith as believing in the heart and utterance by the tongue only. Others, among them, defined faith as believing in the heart. Although this group did not totally agree with those who were of the view that belief is a mere heartily knowledge, their ideas encouraged the sinners to disobey God and commit sins.